الفصل الرابع

الانتقال إلى عصر الأسرات

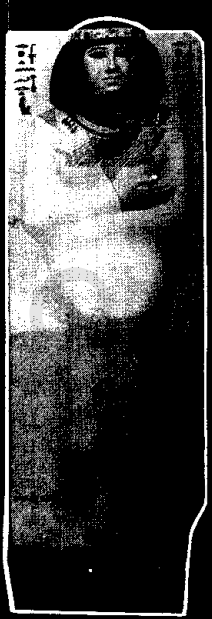

obeikandl.com

obeikandl.com

لعل أكثر الشواهد وضوحاً على النشاط السياسى الذى أدى إلى بداية وظهور عصر الأسرات فى مصر، يتمثل فيما عثر عليه فى مختلف المناطق، وخصوصاً منطقة هيراكونبوليس [العاصمة الجنوبية القديمة] من اللوحات التذكارية التى كانت تقدّم كنذور ومن بعض رؤوس الصولجانات [الصورتان ٣٠، ٣١].

• تفاصيل لوح الملك نعرمر:

ومن أهم تلك الشواهد الأثرية التى تؤكد ذلك لوح الإردواز الخاص بالملك نَعَرْمَرْ [أو ربما: مِرِى نَرْ] الذى يعتبر الجنين الذى تطورت منه معظم الخصائص الذاتية التى تميز الفن الفرعونى كله على وجه التقريب [الصورتان ٣٢، ٣٤].

فى أعلى كل من وجهى هذا اللوح نرى اسم الملك مكتوباً داخل إطار يمثل مبنى القصر الملكى. وبالرغم من وجود بعض العلامات أو الرموز الهيروجليفية الغامضة أو غير واضحة المعنى، إلا أن هذا اللوح يعتبر أول وثيقة «مكتوبة» فى تاريخ مصر القديم. ويؤكد لنا أن علينا من الآن فصاعداً أن نعتبر مصر دولة متحضرة متمدينة.

نلاحظ أن اسم الملك المكتوب على كل من وجهى اللوح محاط بنقشين يمثلان رأسى الإلهة «حتحور»(١) التى يحتمل أن يكون هذا اللوح قد نذر لها. والإلهة حتحور هى الإلهة الأم، وتمثل غالباً فى شكل بقرة. ومع ذلك فإننا

(١) تعتبر الإلهة «حتحور» من أشهر الآلهات المصريات، ومعنى اسمها «منزل حورس» أو «مقر حورس». وينظر إليها فى العقائد المصرية القديمة باعتبارها «عين الإله رع» التى دمرت اعداءه. وتمثل عادة فى شكل امرأة على رأسها تاج عبارة عن قرنى بقرة بينهما قرص الشمس كما تمثل فى بعض الأحيان فى شكل بقرة أو لبؤة، كما مثلت أيضا على هيئة ثعبان أو شجرة. وكان مركز عبادتها الرئيسى فى منطقة «دندرة». وتمثل الزوجة فى الثالوث المقدس المكون منها ومن زوجها حورس وابنهما إيحى [المترجم].

نلاحظ أن البقرة المنقوشة فى هذا اللوح لها رأس يظهر فيه وجه امرأة. وأغلب الظن أن ظهور الآلهة المصرية بملامح إنسانية قد تزامن مع ظهور هؤلاء الملوك المصريين الأوائل.

وعلى الوجه الأمامى لهذا اللوح التذكارى نرى نقشاً للملك نعرمر بحجم نسبى أكبر من الحجم الطبيعى، وهو يضع على رأسه التاج الأحمر «دِشْرتْ» [الصورة

(٣٢)

(٣٣)

(٣٤)

(٣٥)

الصور (٣٢)، (٣٣)، (٣٤)، (٣٥)

اللوحة التذكارية الشهيرة للملك نعرمر، وهى مصنوعة من الإردواز وعثر عليها فى هيراكونبوليس، وتعتبر من أهم الآثار التى يرجع تاريخها إلى عصر الأسرات المبكرة. وعلى الوجه الأول للّوحة نرى الملك نعرمر وهو يرتدى تاج الوجه البحرى الأحمر «دِشْرتْ» الموضح بالصورة (٣٣). وعلى الوجه الثانى للّوحة نراه وهو يرتدى تاج الوجه القبلى الأبيض «حِدْجِتْ» الموضح بالصورة (٣٥). وبعض «الموتيفات» المنقوشة بهذه اللوحة تظهر أيضاً ببعض اللوحات الأخرى الأقل حفظاً [قارن منظر الحيوانات ذات الرقاب الطويلة باللّوحة (٢٠) ومنظر الثور النطّاح باللوحة (٣١).

كذلك نرى على هذه اللوحة بعض الرموز الهيروجليفية ذات المعانى الغامضة التى كانت تستخدم فى هذا العصر العتيق، والتى تجعل من هذه اللوحة واحدة من أول وأهم الوثائق فى تاريخ مصر القديم.

• محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة.

٣٢] الذى كان يرمز إلى مدينتى بوتو وسايس بالدلتا، والذى أصبح فيما بعد الغطاء الرسمى لرأس الفرعون باعتباره ملكاً على الوجه البحرى. [وقد أصبح كل من التاج الأحمر «دِشْرِتْ» والتاج الأبيض «حِدْجِتْ» من الرموز الهيروجليفية] (٢).

وأمام الملك نرى كاهناً أمامه أربعة من حملة الأعلام والرايات. وخلف الملك نرى «حامل الصندل» الذى كان يختص أيضاً بغسل قدمى الملك. وهذا المنظر فى مجمله يمثل موكباً ملكياً للتفتيش، يستعرض فيه الملك بعض صفوف القتلى من المتمردين الذين يظهرون فى المنظر وهم مقطوعى الرؤوس ومكتوفى الأذرع. ومن الواضح أنهم كانوا من المتمردين المحليين، وأن المكان الذى حدثت فيه تلك المذبحة كان منطقة بوتو(٣). بالدلتا حيث يثبت ذلك من الرموز والعلامات الهيروجليفية المكتوبة بأعلى صفى الجثث.

وفى الجزء الأوسط من هذا اللوح التذكارى نرى حيوانين من الحيوانات الاسطورية التى تمثل نموراً ذوات رؤوس ثعبانية طويلة Serpo — Pards. كما نرى الرجلين اللذين أنيط بهما قيادة هذين الحيوانين. ونلاحظ أن المنظر فى مجمله قد نقش بصيغة زخرفية على قدر كبير من الدقة وجمال التكوين الفنى، وتتوسطه دائرة تكوّنها رقبتا الحيوانين وهما ملتفتين حول بعضهما بهذا التكوين الزخرفى. ولاشك فى أن منظر هذين الحيوانين الأسطوريين يعتبر من التأثيرات الفنية الأجنبية المستوحاة من الخارج. ومن المحتمل أن المقصود بهذا المنظر فى إجماله هو التعبير الرمزى عن الوحدة أو الاتحاد.

---

(٢) وقد صمم فيما بعد تاج مزدوج يجمع هذين التاجين معاً فى تاج واحد اسمه المصرى القديم «سِخِمْ تى» [المترجم].

(٣) «بوتو» أو «بوطو» أو «پى» أو «ابطو» كما كانت تسمى فى اللغة المصرية القديمة هى «تل الفراعين» الحالية بالقرب من دسوق، وتقع إلى جنوب بحيرة البرلس. ومن هذه المدينة خرج الملوك الذين وحدوا مصر للمرة الأولى فى عصور ما قبل التاريخ [قبل عصر نعرمر بنحو ١٠٠٠ سنة]. وقد ظلت هذه المدينة عاصمة تقليدية للدلتا، وكانت لها قدسية كبيرة طوال مختلف عصور التاريخ المصرى القديم [المترجم].

وفى الجزء الأسفل من الوجه الأول لهذا اللوح التذكارى نرى الملك فى هيئة «الثور القوى» Strong bull وهو يحطم رمزاً لمدينة تتضمن قصراً أو معبداً كبيراً ومجموعة من البيوت الصغيرة. كما يدوس الملك على متمرد أجنبى يحتمل أن يكون ليبياً.

أما الوجه الخلفى من اللوح، فيتضمن منظراً نرى فيه الملك واضعاً على رأسه التاج الأبيض «حدجِتْ» [الصورة ٣٥] وهو تاج يرمز إلى مدينة أفروديتوبوليس (٤) بالصعيد، والذى أصبح فيما بعد الغطاء الرسمى لرأس الفرعون باعتباره ملكاً على الوجه القبلى. ويقوم الملك فى هذا المنظر باخضاع وتأديب أحد الأعداء. وقد أصبح هذا المنظر ــ بنفس تكوينه الفنى ــ من المناظر التقليدية لتصوير الفرعون المصرى طوال عصر الأسرات وعلى مدى نحو ثلاثة آلاف سنة.

وفوق رأس هذا العدو الأسير الخاضع نرى نقشاً عبارة عن كناية أو رمز يمكن قراءته على النحو التالى: «بذراعه اليمنى القوية يُخْضِع سكان المستنقعات [حَاوْ نِبُوتْ] ..»

وفى الجزء الأسفل من هذا الوجه من اللوح التذكارى نرى منظراً لاثنين من الأعداء الأجانب وهما فى وضع الفرار المذعور حيث تنبسط أذرعهما وأرجلهما. كما نرى رمزاً من المحتمل أنه يمثل قلعة مستطيلة الشكل ذات جدران تقوم على أكتاف أو دعامات بارزة، من طراز القلاع الذى كان معروفاً بمناطق غرب فلسطين، أو طراز الحرم المقدس للإلهة الحدأة الذى كان معروفاً فى مناطق ما وراء الأردن.

ومن هذا كله يتبين لنا أن هذا اللوح التذكارى قصد به [بوجهيه] أن يكون تمجيداً للنصر الذى حققه ملك الجنوب على مناطق الشمال، وقيامه بتوحيد الأرضين [الوجهين القبلى والبحرى] تحت حكم ملك واحد.

وبالنظر إلى أن الملك نعرمر ظهر فى وجهى هذا اللوح التذكارى باعتباره ملكاً على كل من الوجه البحرى والوجه القبلى، فقد اعتبر بناء على ذلك أنه الملك

---

(٤) هى إحدى المقاطعات القديمة بالوجه القبلى، وكان اسمها المصرى القديم «بزِحِمِتْ» أى بيت البقرة «حمت» وتقع حالياً بالقرب من إطفيح [المترجم].

شبه الاسطورى المسمى «مينا» الذى عرف عنه أنه أول فرعون وحد الوجهين فى مملكة واحدة. ولكننا سنرى فيما بعد أن هناك بعض الشك فى هذه المقولة.

وعلى أية حال فإن هذا اللوح التذكارى يعبر بعمق وبما لا يدع مجالاً للشك عن تمجيد القوى الإلهية الكامنة فى الملك نعرمر نفسه، سواء أظهر فى شكله الإنسانى أم مجسداً فى شكل صقر أو ثور قوى.. وتمجيد انتصاراته على كافة المتمردين، واخضاعه للأجانب الذين يعيشون خارج الحدود المصرية، وسيطرته على الآسيويين، وسكان المستنقعات، والليبيين.

■ الفرعون حاكما

ويظهر نفس الموضوع الذى يعبر عنه اللوح التذكارى للملك نعرمر بحذافيره ــ وإن كان ذلك بطريقة مختلفة ــ فى موضوع النقش المرسوم على رأس الصولجان الخاص بالملك العقرب Scorpion الذى يعتقد أنه السلف المباشر للملك نعرمر [الصورتان ٣٦، ٣٧]. ومن المعروف أن الملك العقرب قد قام بنشاط كبير لتوسيع رقعة المملكة الجنوبية.

وقد عثر على رأس الصولجان هذا فى منطقة هيراكونبوليس، ويظهر عليه نقش لمنظر الملك وهو يؤدى أحد الطقوس الزراعية [الصورتان ٣٦، ٣٧] حيث نرى فى خلفية النقش مجموعة من حملة الرايات التى تعلو صواريها نماذج طائر يشبه الهدهد [أو ربما طائر الزقزاق وهو طائر مائى صغير]. كما تتدلى من هذه الصوارى رايات عبارة عن أشرطة مستطيلة.

ونلاحظ عدم وجود أى فارق بين الأجانب والمصريين فى هذا التاريخ المبكر، وذلك بالنسبة لموقفهم من الفرعون، إذ الجميع يعتبرونه إلهاً وحاكما يخضعون لسيادته وسيطرته.

● رؤوس الصولجانات:

وهناك أربعة من رؤوس الصولجانات معروفة حتى الآن: واحد فى متحف أشمولين، وواحد فى القاهرة، وكسرات من اثنين ضمن مجموعة «فلندرز بترى» بيونيفرستى كوليدج. [وكان من المعتقد بالنسبة للكسرات التى تتضمنها مجموعة

(٣٦)

الصورة (٣٦)

منظر متخيّل لتفسير النقش المحفور على رأس صولجان «الملك العقرب» حيث نرى أحد الطقوس الزراعية المقدسة التى يقوم بها الملك، وهو هنا يؤدى طقس «الخصوبة» ليبارك العمل الزراعى الفورى الذى يجب أن يقوم به الزراع فور انحسار مياه فيضان النيل عن الأرض التى تغطت برواسب الطمى الخصب المجدد للتربة.. ونرى الملك وهو يقوم بالضربات الأولى لعزق الأرض، كما نرى أحد كبار رجال الدولة راكعاً على ركبتيه ويحمل بيديه سلة سيتلقى فيها كمية من الغرين والطمى الجديد. وخلف الملك نرى مجموعة من رجال البلاط منهم حامل المروحة على يمين الملك وحامل المروحة على يسار الملك، وحامل صندل الملك المختص بغسل قدميه، وحارساً مسلحاً، وكاهنا [ربما يكون ابن الملك وولى عهده].. كذلك نرى الرموز المقدسة الخاصة بالملك فى شكل رايات مرفوعة على الصوارى.

• من رسم: جاينور تشابمان.

بترى أنها كسرات من رأس صولجان واحد، وقد صنّفت ووثّقت علمياً على هذا الأساس بواسطة كل من العالمين كويبل وجرين. ولكن الأبحاث الحديثة اثبتت عدم صحة هذا التصنيف والتوثيق، حيث تبين أنها كسرات لرأسى صولجانين أحدهما أكبر من الآخر قليلاً، كما أن أحدهما أكثر دقة فى التشطيب الفنى من الرأس الآخر].

وجميع رؤوس هذه الصولجانات عثر عليها فى منطقة هيراكونبوليس. وفى كسرات رأسى الصولجانين نرى نقشاً يمثل الملك جالساً وعلى رأسه التاج الأحمر [تاج الوجه البحرى] ويمسك فى يده مدراساً [وهى عصا تستخدم فى درس الحنطة] وأمامه

(٣٧)

الصورة (٣٧)
رأس صولجان الملك العقرب بعد ترميمه . وقد عثر عليه فى هيراكونبوليس ويرجع تاريخه إلى عام ٣٢٢٥ق م . ويظهر فيه الملك أكبر حجماً من كل الآخرين ، ويرتدى تاج الوجه القبلى الأبيض ، ورداء يتدلى منه ذيل حيوان ، ويحمل فى يديه معزقة وحفنة من الطمى . كما يظهر رمز الملك وهو « العقرب » أمام وجهه .
• محفوظ بمتحف اشمولين بأكسفود . تصوير: إلين تويدى .

الإله الصقر حورس وهو يسحب أسيراً له ضفيرة شعر تتدلى من مؤخرة رأسه ، وقد سقط هذا الأسير على ظهره . وأمام الملك نرى علامة هيروجليفية تمثل « العقرب » رمزاً لاسم الملك .

أما رأس الصولجان المحفوظ بمتحف أشمولين فعليه نقش يبين الملك وهو يؤدى أحد الطقوس الزراعية وعلى رأسه التاج الأبيض [تاج الوجه القبلى] .

ومن الواضح أن النقوش المرسومة على رؤوس هذه الصولجانات تعبر عن انتصار الملك على أعدائه واخضاعهم ، سواء أكانوا من المتمردين المحليين أو من سكان الهضاب الشرقية .

• الملك مينا ومشكلة لم تحسم :

ولهذا فيبدو أن الملك العقرب قد بذل جهداً لفرض سيطرته وحكمه على كل من الوجهين البحرى والقبلى ، وكذلك للاعتراف به كملك أوحد على الأمم

والشعوب المجاورة. ولكن يبدو أن جهوده الحربية فى هذا المجال قد اكتملت وحققت أغراضها وأهدافها على يد خليفته الملك نعرمر الذى قام أيضا بارساء الأسس السياسية للمملكة، وهى الأسس التى ظلت مستمرة وثابتة فى المراحل التالية من التاريخ المصرى القديم بالنسبة لكل فرعون كان يضع على رأسه التاجين الأبيض والأحمر.

ومن المحتمل أن يكون الملك نعرمر هو نفسه الملك مينا الذى ذكره كهنة المعابد لهيرودوت باعتباره أول الملوك الذين حكموا مصر الموحَّدة. ومن المحتمل كذلك أن يكون الملك مينا هذا عبارة عن رمز أو تركيبة من عدة ملوك متوالين بما فيهم الملك العقرب والملك نعرمر، قاموا بعدة أعمال حربية وحققوا انتصارات متوالية إلى أن تم فى النهاية توحيد البلاد تحت حكم ملك واحد. وعلى أية حال فإن هذه المسألة لم تحسم بعد من الناحية العلمية على نحو قاطع. ويبدو أن علينا أن ننتظر حتى يتم اكتشاف المزيد من الشواهد التى تحسم الخلاف فى هذه المسألة بصفة نهائية.

● علاقة الحضارة المصرية بالحضارات المجاورة:

وقد قام العديد من المؤرخين والباحثين فى الماضى باجراء الكثير من الدراسات التى تؤكد تفرد وانعزال الحضارة المصرية القديمة، كما لو كانت خارج التيار الرئيسى لحضارات مناطق شرق البحر المتوسط التى كانت معروفة فى ذلك الوقت. ولكن من المشكوك فيه أن تؤدى البحوث والدراسات التى سيجريها علماء المستقبل، إلى تأكيد هذه النظرية أو تثبيتها.

لقد دلت الشواهد المستمدة من آثار العصور التاريخية المصرية، على أن الفرعون كان يمارس سيطرة عميقة التأثير على شعوب المناطق المجاورة للحدود المصرية. وفى معظم النقوش التى تسجل صوراً أو مناظر للاحتفالات التى كانت تقام بمناسبة ارتقاء الفرعون للعرش، أو تسجل احتفالاته بالعيد اليوبيلى لحكمه، نرى الفرعون وهو يستقبل السفراء الأجانب الذين يقدمون إليه الهدايا ويتضرعون إليه ليمنحهم «الحياة» التى كان من المفروض فيه أن يهبها للشعوب الأجنبية التى يمثلها هؤلاء السفراء.

كذلك فإن الآثار التى يرجع تاريخها إلى عصر الأسرات المبكرة تؤكد وجود هذه العلاقة بين مصر والشعوب المجاورة لها، وهى العلاقة التى يحتمل أنها بدأت منذ عصر حضارة الجرزة. ولهذا فلعلنا نكون غير مبالغين أو غير بعيدين عن الصواب، إذا اعتبرنا أن الحضارة المصرية القديمة تعتبر فرعاً من الحضارات العامة التى كانت سائدة فى مناطق شرق البحر المتوسط أثناء دخول هذه المناطق فى عصر البرونز.

● الملك الإله:

ونستدل من تلك الآثار أيضاً على أن «الحجم» و«الأهمية» التى صور بها الملك يؤكدان أننا بصدد ملك «إله» ولسنا أمام «حاكم» من البشر مفوضاً من قبل الإله [الصورتان ٣٠، ٣١]. ولذلك فإن مصر قدمت لنا فى ذلك العصر المبكر نموذجاً تقليديا للحل «الافريقى» لمشاكل الحكم.

لقد نشأت حضارات متعددة فى وديان الأنهار فى مناطق أخرى من الشرق الأدنى، وقد قامت هذه الحضارات أيضاً على النظام الزراعى، وعرفت نوعاً من الاتحاد وسبل الاتصال فيما بينها، كما عرفت الكتابة وطريقة تسجيل أحداث الحياة. ومع ذلك فقد ظلت هذه الحضارات فى إطار مجموعة من «المدن التى تأخذ شكل دول» تتنافس وتتصارع فيما بينها من أجل التفوق أو السيادة على المدن الأخرى. أما مصر فقد كانت تتمتع فى ذلك الوقت بنوع متميز من التوافق والانسجام القومى تحت قيادة «إله». وذلك باعتبار أن الفرعون هو النموذج الكلاسيكى للإله المتجسد فى شكل ملك يحكم. وقد نبت هذا المفهوم لنظام الحكم من جذور الحضارة المصرية التى تضرب فى أرض القارة الافريقية حيث ما زال مثل هذا المفهوم قائماً فى بعض مناطق افريقيا.

لقد راق «للعقل» المصرى و«للروح» المصرية أن يؤمنا بهذا الإله الواقعى الملموس الذى يملك وحده القدرة على تحقيق النتائج والأهداف بممارسة سلطاته وقدراته الإلهية التى تتمثل فى «النطق الخلاق» وسعة «العلم» بالأشياء والأسباب، وتحقيق «العدالة». وهذا المفهوم هو الذى منح الأمة المصرية الثقة بنفسها والقدرة على التغلب على الكثير من الصعاب والعوائق المثبطة للهمم.

(٣٨)

الصورة (٣٨)

« لوحة الصيادين » .. ونرى فيها فريقين من الصيادين يتعاونان فى صيد الأسود. ونرى أسداً جريحاً غرزت فى جسده الرماح على كل جانب من جانبى اللوحة. كما نرى أن الصيادين يرتدون « جونلاّت » قصيرة تتدلى منها ذيول حيوانات، ويحملون فى أيديهم تشكيلة من الأسلحة المختلفة، بل ونلاحظ أن أحدهم يمسك بيديه « وَقَفاً » [وهو حبل له أنشوطة يستعمل فى الصيد والقنص]، ونلاحظ أيضاً أن رئيس كل فريق من الصيادين يحمل صاريا رفعت عليه الراية التى ترمز إلى فريقه. وفى الجانب الأيمن من اللوحة نرى نقشا لضريح صغير بجواره ثور له رأسان وهو شكل ملفت للنظر وربما قصد به الإشارة إلى أن عملية الصيد هذه قد جرت فى الإقليم الثالث من أقاليم الدلتا. كما نلاحظ أن عيون الرجال وعيون الحيوانات قد رسمت على شكل حفرات أو فجوات فى الوجوه، مما يدل على أن هذه اللوحة يرجع تاريخها إلى العصور المبكرة [انظر أيضاً الصورتين ٢٠، ٣٠].

● عثر عليها فى هيراكونبوليس. والجزء العلوى من هذه اللوحة محفوظ بمتحف اللوفر، أما الجزء السفلى منها فمحفوظ بالمتحف البريطانى.

فى عصور ما قبل التاريخ، كان يعتقد فى أن شيخ القبيلة أو رئيس الجماعة هو القادر وحده على الحفاظ على شعبه وجماعته، والحفاظ أيضاً على قطعان الجماعة ومحصولاتها الزراعية، كما أنه القادر على المحافظة على صحة افراد الجماعة وتحقيق الازدهار والرخاء الشامل للجماعة كلها. وذلك كله يتحقق بقيام شيخ القبيلة أو رئيس الجماعة بممارسة قوته السحرية للسيطرة على الجو [الصورة ٣٨]. وهذه القوى والقدرات كلها تحولت فيما بعد إلى الفرعون الذى يحافظ على الأمة كلها ويحميها، كما يسيطر على « النيل » باعتباره المورد العظيم للماء اللازم للحياة فى أرض يندر فيها هطول الأمطار.

• فيضان النيل والتنظيم المركزى:

وكانت فيضانات النيل السنوية لاتنقطع فى أى عام. وكان من السهل التنبوء بمواعيدها. وفى نفس الوقت كان من الصعب التنبوء بمعرفة حجم الفيضان القادم فى موعده كل عام، سواء أكان مرتفعاً خطيراً أم منخفضاً شحيحا. لذلك فقد كان من غير المدهش أن يتقبل المصرى الذى يعيش فى مثل تلك البيئة غير المستقرة على حال واحد دائم وثابت، فكرة أن ثمة قوى أخرى تستطيع أن تسيطر على هذا الفيضان بممارسة وسائلها أو قدراتها الخاصة.

ولهذا يمكن القول بأن وجود تنظيم ما كان أمراً ضرورياً للإشراف على اصلاح وتهيئة المساحات الشاسعة من الأراضى المصرية المخصصة للزراعة، والاشراف ايضاً على امداد كل هذه الأراضى بمياه الرى اللازمة لانبات المحاصيل. وما كان لمثل هذا التنظيم أن يظهر إلى الوجود إلا بعد وجود الأداة السياسية المتمثلة فى حكم مركزى تحت قيادة ملك واحد يتحكم فى كل شىء. ولهذا فليس من المستبعد أن يكون أول ملك وحد مصر، مفوضاً أو مناطاً به أمر السيطرة على فيضانات النيل فى كل عام.

ومن المحتمل كذلك أن توحيد مصر بكل ما صاحبه وأعقبه من تغييرات حضارية مفاجئة ومثيرة، إنما كان يهدف فى حقيقة أمره إلى التنسيق السياسى والادارى للإسراع فى تنفيذ المشروعات العامة التى كانت تهم المصريين جميعاً. ولا جدال فى أن تحقيق هذا الأمر كان معجزة رائعة فى ذلك الزمن، حيث ساد الاعتقاد بأن «المَلَكِيَّة» ورخاء الأرض وازدهارها هما فى حقيقة الأمر كل لا يتجزأ ويعتبران شيئاً واحداً.

• المفهوم السياسى لاسطورة أوزيريس:

وكان أسلاف الملك نعرمر وكذلك خلفاؤه، لا يُنظر إليهم باعتبارهم «وصفة» طبيعية لتحقيق النجاح، وإنما كانوا يعتبرون جزءاً لا يتجزأ من نظام كونى. وهو الأمر الذى تأكد فيما بعد بظهور أسطورة أوزيريس التى يدور موضوعها الأساسى حول ملك إله تعرض للقتل وتقطيع أوصاله، ولكنه «قام» من الموت وأصبح

ملكاً وقاضياً فى العالم السفلى، وحل محله فى حكم الأرض ابنه حورس. ولهذا فقد اعتبر الملك المصرى اثناء حياته تجسيداً للإله حورس [الصورة ٣٩]. وعندما يموت هذا الملك فإنه يمتزج بأسلافه ويصبح أوزيريس مثلهم، ويتولى ابنه عرش مصر محله باعتباره حورس الجديد.

وفى كل مرة يتولى فيها ملك جديد عرش مصر، فإن مصر نفسها تخلق من جديد بنفس نظامها السليم القديم الذى وضعته الآلهة.

وكان المجتمع المصرى فى ذلك العصر يأخذ شكلاً هرمياً تتسامى قمته فى عنان السماء. وسنرى خلال دراستنا للحضارة المصرية فى الدولة القديمة أن معظم الأعمال والتجليات الأدبية والفلسفية كانت تدور حول الملك الحى الذى يحكم والملك الذى مات وتم دفنه. وهؤلاء الملوك كانت تتبلور فيهم فكرة رخاء الشعب ورفاهيته. ولعل هذا هو السبب المباشر لقيام الشعب المصرى كله بذلك النشاط الاقتصادى العظيم الذى قد يبدو ظاهرياً أنه لصالح الحكام وحدهم.

الصورة (٣٩)

الشاهد الحجرى لقبر الملك «دِجِتْ» الذى عثر عليه بأبيدوس. ويدل على تقدم ونضج أسلوب النقش فى العصر العتيق. ونرى الإله الصقر «حورس» يقف منتصباً فوق «الإسم الحورسى» للملك المكتوب على شكل حية ترفع رأسها، وتعلو «صِرحاً» يمثل مدخل قصر الملك [انظر أيضاً الصورتين ٦٠، ٨٩]. هذا ويعرف الملك دجت أيضاً باسم «الملك الثعبان».

● محفوظ بمتحف اللوفر. تصوير: ماكس هيرمر.